ظاهرة التضمين في العربية بين النحاة والمفسّرين

أ. ناصر مولود الأمين الجبو ■

مقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

«فإنَّ معانيَ الأدوات علم نشأ، في ركاب تفسير القرآن الكريم، حين كان علماء العربية والمفسرون، يفصِّلون المعاني المختلفة للأداة الواحدة، في النصوص القرآنية، ثم شبَّ هذا العلم وترعرع، حتى استقلَّ بميدانه الخاص المتميز»[1]، وقد صُنِّفَ في هذا العلم مصنفات كثيرة، مثل: مغني اللبيب لابن هشام، والجني الداني في حروف المعاني للحسن بن قاسم المرادي، والأزهية في علم الحروف لأبي الحسن علي بن محمد الهروي، ورصف المباني في حروف المعاني، لأحمد بن عبد النور المالقي، وغيرها.

وقد ظهر استعمال هذه الحروف، ونتج عن ذلك ما يُعرف

(1) الجنى الداني في حروف المعاني، 3.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بظاهرة التضميـــن، وهو التبادل في الاســتعمال بين الحــروف بعضها بعضاً، ليتضمن كل حرف معنى الآخر، وبين الأفعــال بعضها بعضاً، ليتضمن كل فعل معنى الآخر، وهذا الاستعمال العربي يدل على مدى سعة اللغة العربية وعظمتها وقوتها وكمالها، يقول ابن جني: «وَوَجَدْتُ في اللغة العربية مِن هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يُحاط به، ولعله لو جُمع أكثرُه لا جميعُه لجَاءَ كتاباً ضخماً، وقد عَرفتَ طريقه، فإذا مرَّ بك شــيءٌ منه فتقبَّلْه وأْنَسْ به، فإنه فصل من العربية لطيف حســن، يدعو إلى الأنس بها والفقاهة فيها، وفيه أيضاً موضعٌ يَشــهد على مَن أنكر أنْ يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد، ألَا ترى أنه لمَّا كان رفث بالمرأة فــي معنى: أفضــى إليها، جــاز أنْ يَتْبَــعَ الرفثُ الحــرفَ الذي بابه الإفضاء، وهو إلى»[1]، وعند قراءة مثل هذه الشــواهد في لغتنا نزداد إعجاباً بها، فما أجملَ لغتَنا، وما أَحسنَ إبداعَها، وقد راعَيْتُ أن تكون عناصر البحث على النحو الآتي:

1- تعريف التضمين لغة واصطلاحاً.
2- اختلاف النحاة في التضمين بين المنع والجواز، وتعليلهم لذلك.
3- الفرق بين التضمين ونزع الخافض.
4- التضمين بين الحقيقة والمجاز.
5- مظان التضمين.
6- قياسية التضمين.
7- التَّضْمين النحوي.
8- التضمين البياني.
9- نماذج من الشواهد الدالة على التضمين.
10- أقوال المفســرين والنحاة في آيات من كتــاب الله وقع فيها التضمين، والفائِدة من ذلك.

- وبعد المقدمة السابقة حان وقت الشروع في المقصود، وبالله التوفيق:

(1) ينظر: الخصائص، 310/2.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

1 ـ تعريف التضمين:

أ ـ تعريف التضمين لغة:

للتضمين إطلاقات عديدة في اللغة، منها:

الكفالة، وجَعْلُ شيءٍ داخلَ شيءٍ آخر، يقال: «ضَمَّنَ الشيءُ الشيءَ، إذا أَوْدَعَهُ إياه، كما تُودِعَ الوعاءَ المتاعَ، والميتَ القبرَ، وقد تضمنه هو... وكلُّ شيءٍ جعلتَهُ في وعاءٍ فقد ضَمَّنْتَهُ إياه»[1].

ومِن معاني التضمين: إيقاعُ لفظٍ موقعَ غيرِه، ومعاملتُه معاملتَه لتضمُّنِهِ معناه واشتماله عليه، ومنها أنْ يكون ما بعد الفاصلة متعلقاً بها و(في علم القوافي): أنْ تتعلّق قافيةُ البيتِ بما بعده على وجهٍ لا يَستقلُّ بالإفادة، و(في علم البديع): أنْ يأخذ الشاعرُ أو الناثرُ آيةً أو حديثاً أو حِكمةً أو مثلاً أو شطراً أو بيتاً من شعر غيره بلفظه ومعناه[2].

ب ـ تعريف التضمين اصطلاحاً:

هو أن تتضمن لفظةٌ معنى لفظةٍ أخرى، أي إشراب كلمة معنى كلمة أخرى، فتؤدي وظيفتها في التركيب، «وهو مَخْرَجٌ لُغَوِيٌّ لطيف، يقوم أساساً على مخالفةِ أصولِ التعديةِ المعهودة في الأفعال، ويَسعى إلى إجراء المصالحة بين الفعل ومفعوله، أو الحرفُ الذي يَصِلُهُ بالمفعول، وذلك مِن طريقِ تنازُلِ الفعل عن معناه المتبادَرِ، كيما تعود الأمور إلى نصابها»[3]، وهو كما يقول بعضهم: «أنْ يؤديَ فعلٌ أو ما في معناه في التعبير مؤدَّى فعلٍ آخَرَ أو ما في معناه، فيُعطَى حُكْمَهُ في التعدية واللزوم»[4].

التضمين هو التبادل في الاستعمال بين الحروف بعضها بعضاً، ليتضمن كل حرف معنى الآخر، وبين الأفعال بعضها بعضاً، ليتضمن كل فعل معنى الآخر، وهذا الاستعمال العربي يدل على مدى سعة اللغة العربية وعظمتها وقوتها وكمالها

وهو مفهومٌ يمكن أنْ يكونَ ضرباً من التوسع في اللغة، فإنْ أدى حرفٌ معنَى حرفٍ آخَرَ فهو تضمين، وإنْ أدَّى فعلٌ لازمٌ وظيفةَ فعلٍ متعدٍّ فهو تضمين، وإنْ

(1) لسان العرب، (ضمن)، 126/17.

(2) ينظر: المعجم الوسيط، 544/1.

(3) الأدوات النحوية في كتب التفسير، ص714.

(4) المرجع السابق نفسه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أُشْرِبَ الاسمُ معنَى الحرفِ وأدَّى وظيفتَه في التركيب فهو تضمين، فبابُ التضمينِ واسعٌ في اللغة[1].

ومثَّل ابن هشام بعدة شواهدَ منها: تضمينُ (رَحُبَ) معنى: (وَسِعَ)، وتضمين (طَلَعَ) معنى: (بَلَغَ) وتضمين (فرق) معنى: خاف، وتضمين (سَفِهَ) معنى: (امتهن أو أهلك) في قوله سبحانه[2]: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[4]، أي فلن يُحرموه، أي فلن يُحْرَمُوا ثوابه، ولهذا عُدِّيَ إلى اثنين لا إلى واحد، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾[5]، أي لا تنووا، ولهذا عُدِّيَ بنفسه لا بعلى، وقوله ـ ﷻ ـ: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾[6]، أي: لا يُصْغون، وسمع الله لمن حمده، أي: استجاب، فعُدِّيَ يَسَّمَّعُون في الأول بإلى، وفي الثاني باللام، وفي الأصل أنَّ الفعل يتعدى بنفسه، كقوله تعالى[7]: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾[8].

ويُعَدُّ ابن جني أولَ مَن اعتنى بالتضمين، فكشفه وأوضحه في أمثلة كثيرة، يقول ابن جني: «اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر، فإنَّ العرب قد تتسع فتوقعَ أحدَ الحرفين موقعَ صاحبِه إيذاناً بأنَّ هذا الفعل في معنَى ذلك الآخَر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه، وذلك كقول الله عز اسمه: «﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[9]، وأنت لا تقول: رَفَثْتُ إلى المرأة، وإنما تقول: رَفَثْتُ بها، أو رَفَثْتُ معها، لكنه لمَّا كان الرفثُ هنا في معنى الإفضاء، وكنتَ تُعَدِّي

(1) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص488، 642؛ والكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، 97/1.

(2) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص488.

(3) البقرة: 130.

(4) آل عمران: 115.

(5) البقرة: 235.

(6) الصافات: 8.

(7) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ص642 - 643.

(8) ق: 42.

(9) البقرة: 187.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أفضيتُ بـ(إلى) كقولك: أفضيتُ إلـى المرأة، جئتَ بـ(إلى) مع الرفث إيذاناً وإشعاراً أنه بمعناه»[1].

ففـي كلام ابن جني الإشـارةُ إلى وقوع التنـاوب والتبادل في اسـتعمال الحروف والأفعال.

2 ـ اختلاف النحاة في التضمين بين المنع والجواز، وتعليلهم لذلك:

ذهب الكوفيون وبعض البصريين إلى جـواز التناوب بين حروف الجر، بينما يرى جمهور البصريـين «أنَّ حروف الجر لا ينوب بعضها عـن بعض بقياس، كما لا تنوب أحرفُ الجـزمِ وأحرفُ النصب، ومـا أَوهم ذلك فهو عندهـم إمَّا مؤولٌ تأويلاً يقبله اللفظ، وإمَّا على تضمينِ الفعلِ معنى فعلٍ يتعدى بذلك الحرف، وإمَّا على شذوذِ إنابةِ كلمةٍ عن أخرى»[2].

وممن ذهب إلى مَنْع التوسـع في التناوب بين الحروف أبو حيان الأندلسـي، حيث لم يَـرَ فيه مذهباً لغوياً مناسـباً، فتضمين الأفعال عنـده أولى من تضمين الحروف، وهو لا يتوسـع في التضمين، فليس التضمينُ بمَقِيـس، وإنما يُرجَعُ إليه عند الضرورة، وأمـا إذا أمكن إجراء اللفظ على مدلولـه الوضعي فهو الأَولى[3]، وقد رأى في بعض مواضعه شيئاً من حُسن الاستخدام، وذلك في نحو قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[4]، حيـث قال: «وعُـدّيَ بـ(إلى) وإنْ كان أصلُه التعديةَ بالباء لتضمينه معنى الإفضاء، وحسن اللفظ به، هذا التضمين، فصار ذلك قريباً من الكنايات التي جاءت في القرآن»[5].

3 ـ الفرق بين التضمين ونزع الخافض:

أوّلاً: مـن الناحية البلاغيـة: التضمين أبلغ من نزع الخافـض، لأنَّ الفعلَ المضمَّنَ معنى فعلٍ آخَرَ يؤدِّي المعنيينِ في وقت واحد أحدهما أصالة، والمسألة

(1) الخصائص، 308/2.

(2) شرح التصريح على التوضيح، 637/1.

(3) ينظر: تفسير البحر المحيط 565/1؛ وهمع الهوامع 129/1؛ والدر المصون في علم الكتاب المكنون، 527/1، 1419، 2383؛ واختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعاً ودراسة، 532/2.

(4) البقرة: 187.

(5) تفسير البحر المحيط 55/2. وينظر: الأدوات النحوية في كتب التفسير، ص716.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تنبَّه لها ابن القيم في معرض رده على من يرى أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، فقال: «ظاهرية النحاة يجعلون أحد الحرفين بمعنى الآخر، وأمَّا فقهاء أهل العربية، فلا يرتضون هذه الطريقة، بل يجعلون للفعل معنى مع الحرف، ومعنى مع غيره، فينظرون إلى الحرف وما يستدعي من الأفعال فيشربون الفعل المتعدى به معناه، هذه طريقة إمام الصناعة سيبويه - رحمه الله -، وطريقة حذاق أصحابه يضمنون الفعل معنى الفعل، لا يقيمون الحرف مقام الحرف، وهذه قاعدة شريفة جليلة المقدار، تستدعي فطنة ولطافة في الذهن»[1]، أما نزع الخافض فهو: حذف وإيصال فقط، وليس فيه معنىً زائدٌ عن المعنَى الأصلي[2].

وهو في اصطلاح النحاة: يدور حول المعنى اللغوي، إذ يعرِّفه ابن هشام بقوله: «قد يُشرِبون لفظاً معنى لفظ، فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضميناً»[3]، ويرى الصبان أن الأَولى أن يقال: «التضمين إلحاق مادة بأخرى في التعدِّي أو اللزوم، لتناسبٍ بينهما في المعنى أو اتحادٍ»[4].

4 ـ التضمين بين الحقيقة والمجاز:

يرى بعض العلماء: أنَّ التضمين النحوي من أبواب المجاز وليس من باب الحقيقة، وما سُمع منه يُحمل على التجوُّز في اللفظ كابن السِّيْد البَطَلْيَوْسي، الذي يَرى أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدّى بحرف جرٍّ، والثاني بحرف جرٍّ آخر، فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع الآخر، مجازاً وإيذاناً بأنَّ هذا الفعل في معنى الآخر، ويرى آخرون أنه من باب الحقيقة، وليس فيه مجاز، لأنَّ كلًّا من المعنيين مقصود لذاته، بخلاف المجاز الذي يكون القصد

(1) بدائع الفوائد، 32/3. وينظر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 166/45، الناشر موقع الجامعة على الإنترنت: http://www.iu.edu.sa/Magazine، عدد الأجزاء: 120، مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com، إعداد: خالد لكحل، عضو في ملتقى أهل الحديث.

(2) ينظر مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 166/45، الناشر موقع الجامعة على الإنترنت: http://www.iu.edu.sa/Magazine، عدد الأجزاء: 120، مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com، إعداد: خالد لكحل، عضو في ملتقى أهل الحديث.

(3) مغني اللبيب، ص642.

(4) حاشية الصبان على الأشموني، 450/1.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيه لازم المعنى، كالزمخشري، والشريف الجرجاني، وسعد الدين التفتازاني، ومنهم مَن يرى فيه جمعاً بين الحقيقة والمجاز كالعز بن عبد السلام[1].

5 ـ مظان التضمين:

يقع في ثلاثة أبواب نحوية هي: باب الأسماء المبنية، وباب التعدّي واللزوم، وباب حروف المعاني.

6 ـ قياسية التضمين:

يرى ابن السِّيْد البَطَلْيَوْسي أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدّى بحرف جرٍّ، والثاني بحرف جرٍّ آخر، فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع الآخر، مجازاً وإيذاناً بأنَّ هذا الفعل في معنى الآخر

وكما اختلفوا فيه بين الحقيقة والمجاز، تنازعوا كذلك في قياسية التضمين من عدمها على خمسة مذاهب:

ففريق يرى أنَّ التضمين سماعيّ لا قياسي، وإنما يُلجأ إليه عند الضرورة، أمَّا إنْ أمكن إجراء اللفظ على مدلوله فهو أولى[2]، قال أبو البقاء الكفوي: «والتضمين سماعي لا قياسي، وإنما يُذْهَبُ إليه عند الضرورة، أمَّا إذا أَمكن إجراءُ اللفظ على مدلوله فإنه يكون أَولى، وكذا الحذفُ والإيصالُ، لكن لشيوعهما صارَا كالقياس، حتى كثر للعلماء التصرفُ والقولُ بهما فيما لا سماع فيه»[3].

وقال السيوطي: «والأكثر على أنه أي: التضمين ينقاس، وضابطه: أنْ يكون الأول والثاني يجتمعان في معنى عام لهما»[4].

وقال خالد الأزهري في باب المفعول معه: «واختُلِفَ في التضمين: أهو قياسي أم سماعي؟! والأكثرون على أنه قياسي»[5].

(1) ينظر مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 166/45.
(2) ينظر: تفسير البحر المحيط، 119/6. والأشباه والنظائر، 109/1. ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 166/45.
(3) حروف الجر وأثرها في الدلالات، ص272.
(4) همع الهوامع، 229/5.
(5) شرح التصريح، 346/1.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذهب فريق ثانٍ: إلى القول بإطلاق القياس في التضمين دون قيود.

وذهب فريق ثالث إلى أنَّ تضمين الأفعال أولى من تضمين الحروف، ومنهم فريق رابع ذهب إلى أنَّ تضمين الحروف أولى، وفريق خامس توسط، وهو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فأجاز التضمين في الأفعال بشروط ثلاثة:

أ ـ تحقق المناسبة بين الفعلين.

ب ـ وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر، ويؤمَنُ معها اللَّبس.

ج ـ ملاءمة التضمين للذوق العربي.

وأَوْصَى المجمع بأن لا يُلجأَ إلى التضمين إلا لغرضٍ بلاغي[1].

وقال خالد الأزهري: «واختُلف في التضمين أهو قياسي أم سماعي، والأكثرون على أنه قياسي، وضابطه أنْ يكون الأول والثاني يجتمعان في معنى عام[2].

وقال الزركشي: «واختَلفوا أيهما أَولى؟ فذهب أهل اللغة وجماعة من النحويين إلى أنَّ التوسع في الحرف، وأنه واقع موقع غيره من الحروف أَولى.

وذهب المحققون إلى أنَّ التوسع في الفعل وتعديته بما لا يتعدى لتضمنه معنى ما يتعدى بذلك الحرف أولى؛ لأنَّ التوسع في الأفعال أكثر»[3].

وعلى الرغم من أنّ عباس حسن لا يرى القول بالتضمين، فإنه اعترف بأنّ الصحيح عند النحاة أنه قياسي، فقال: «والصحيح عندهم أنَّ التضمين قياسي، والأخذ بهذا الرأي يُفيد اللغة تيسيراً واتساعاً»[4].

7 ـ التَّضْمين النحوي:

وهو أن تُشْرَب كلمةٌ لازمة معنى كلمة متعدية، لتتعدى تعديتها، نحو: قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[5] فضُمِّن (تَعْزِمُوا) معنى: (تنْوُوا)،

(1) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، 34/1؛ ومجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 166/45.

(2) شرح التصريح على التوضيح، 536/1. وينظر: النحو العربي نقد وبناء، ص156.

(3) البرهان في علوم القرآن، 338/3.

(4) النحو الوافي 171/2. وينظر: حروف الجر وأثرها في الدلالات، ص273.

(5) البقرة: 235.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعُدِّيَ تعديتَه، وكقوله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] فضُمِّن (يُخالِف) معنى: (يَخْرُج)، فصار لازماً مثله[2].

8 ـ التضمين البياني:

«وهو أنْ يؤدي عامل مؤدى عامل آخر، يُقدَّرُ حالاً من فاعله، فيُعطى حكمه في التعدية واللزوم، وقد يُعْكَسُ فيُجْعَلُ المضمَّنُ أصلاً، والمذكورُ حالاً من فاعله»[3].

9 ـ نماذج من الشواهد الدالة على التضمين:

الأمثلة والشواهد كثيرة، ولكنْ سأُورد ما تيسر لي منها، وسيردّ في طيات البحث العديد منها، إنْ شاء الله، ومن ذلك:

ـ (إلى) وتكون بمعنى (مع) وهو قليل، كقول الله تعالى: ﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾[5]، وتقول العرب: إنّ فلاناً لظريفٌ عاقلٌ إلى حسبٍ ثابتٍ، أي: مع حسبٍ، وأنشد ذو الرُّمَّة[6]:

بِهَا كُلُّ خَوَّارٍ إِلَى كُلِّ صَعْلَةٍ ضَهُولٌ وَرَفْضُ الْمُذْرَعَاتِ الْقَرَاهِبِ

أي: مع كلِّ صَعْلَةٍ.

وذهب الكوفيون وكثيرٌ من البصريين[7]، إلى أنَّها تكون بمعنى: (مع) كقول العرب: (الذود إلى الذود إبل)[8]، أي مع الذّود، ومنه قول ابن مفرِّغ:

شَدَخَتْ غُرَّةُ السَّوابق فيهم فِي وُجُوهٍ إِلَى اللِّمَامِ الْجِعَادِ[9]

---

(1) النور: 63.

(2) ينظر: الكشاف، 87/3؛ والتحرير والتنوير، 311/18.

(3) حروف الجر وأثرها في الدلالات، ص261.

(4) آل عمران: 52، والصف: 14.

(5) النساء: 2.

(6) البيت من الطويل وهو في ديوانه: 188، والضهول: قليلة اللبن، كلّ خَوَّارٍ: الغزال يخور إلى أمّه، والصعلة: أمّ الغزال، والمذرعات: البقر معها أولادها. ينظر: أدب الكاتب، 516؛ والاقتضاب، 377.

(7) ينظر: الجنى الداني، 386؛ ومغني اللبيب 85 - 86. وقال الرماني: بعض النحويين ولم يذكر بصرياً أو كوفياً. معاني الحروف: 115، وينظر: الصاحبي، 179.

(8) ينظر: أدب الكاتب، 516؛ ومجمع الأمثال، 288/1؛ وتأويل مشكل القرآن، 571.

(9) البيت من الخفيف وهو في ديوانه: 118، وينظر: أدب الكاتب، 515،؛ والاقتضاب، 449؛ وتأويل مشكل القرآن، 571؛ والأزهية، 273.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أي مع اللمام الجعاد.

وقال امرؤ القيس:

لَهُ كَفَـــلٌ كالدِّعْصِ لَبَّدَهُ الثَّرَى إِلَى حَارِكٍ مِثْلِ الغبيطِ الْمُذَأَّبِ[1]

أي مع الحارك.

والمعنى في قوله تعالـــى: ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: مَن يضيف نصرته إلى نصرة الله[2].

- وحَكَى الكوفيُّون أنّ (في) تستعمل بمعنى: (إلى)، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾[3]، أي: (إلى)، وقوله - عليه السلام -: «نُودِي في الجنَّة»[4].

- مجيء (الباء) بمعنـــى: (من) الدالة على: التبعيـــض، نحو: قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾[5].

- مجيء (الباء) بمعنى: (على) للدلالة على الاســـتعلاء؛ نحو: قال تعالى: ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾[6]، أي: على قنطار.

- مجـــيء (البـــاء) بمعنى: (عـــن) الدالة على المجـــاوزة؛ نحو: قـــال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[7]، أي: عنه.

- اســـتعمال (الباء) بمعنى: (مع) الدالة علـــى المصاحبة كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ﴾[8]، أي: مع الحـــقّ، وقوله تعالى: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[9] ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ﴾، أي: معـــه، ونحو: قال تعالـــى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد

(1) البيت من الطويل في ديوان امرئ القيس: ص47، وينظر: الأزهية، 273.
(2) ينظر: معاني القرآن للفرّاء، 218/1؛ والصاحبي: 179؛ ومعاني الحروف، 115.
(3) إبراهيم: 9.
(4) أخرجه مسلم في صحيحه، باب: ما أنفق العبد من مال مولاه، رقم: 1027، ومالك في الموطأ: 469/2، رقم: 1004.
(5) الإنسان: 6.
(6) آل عمران: 57.
(7) الفرقان: 59.
(8) النساء: 170.
(9) هود: 48.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ ﴾[1]، ﴿ وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ ﴾؛ أي: معه.

- مجيء (الباء) بمعنى: (في) الظرفية، كقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾[2]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴾[3]، وذكر المرادي أنَّ مجيء (الباء) بمعنى: (في) كثير في كلام العرب[4].

- وتأتي (في) بمعنى (مع) للدلالة على المصاحبة؛ نحو: قال تعالى: ﴿قَالَ ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ ﴾[5].

وتأتي (في) بمعنى: (الباء)، كقولك: زيدٌ بالكوفة وفي الكوفة، وأنشد يعقوب:

وَخَضْخَضْنَ فينا البحر حتَّى قطَعْنَه ... على كلِّ حالٍ من غِمارٍ ومِنْ وَحَلْ[6]

أراد: وخضخض بنا).

ومنه أيضاً قول زيد الخيل:

ويَرْكَبُ يَوْمَ الرَّوْعِ فِيهَا فَوَارِسٌ ... بَصِيرُون في طَعْن الأبَاهِرِ وَالْكُلَى[7]

أي بصيرون بطعن الأباهر.

وقال رجل من طيِّء:

نَلُوذُ فِي أُمٍّ لنا ما تُغْتَصَبْ ... من الغمام ترتدي وتَنْتَقِبْ[8]

أي: بأُمٍّ.

(1) المائدة: 61.

(2) طه: 12.

(3) القمر: 34.

(4) الجنى الداني، 40؛ وينظر: أدب الكاتب، 515؛ وأمالي ابن الشجري: 356/1، 471/2، 551، 615؛ والأزهية، 286.

(5) الأعراف: 38.

(6) البيت من الطويل، ينظر: أدب الكاتب، 510؛ والخصائص، 313/2؛ وأمالي ابن الشجري، 608/2؛ والأزهية، 272، ورصف المباني، 453. وغمار: جمع غمر وهو معظم الماء.

(7) البيت من الطويل، ينظر: النوادر، 80 - 281؛ شعراء إسلاميون، 149؛ وأدب الكاتب، 510؛ والشعر والشعراء، 287/1 - 288؛ وأمالي ابن الشجري، 607/2؛ والأزهية، 271؛ والجنى 251.

(8) البيت من الرجز، ويروى: (ما تغتصِبْ) أي: ليس عليها عصابة، وهو كناية عن شموخ الجبل في السماء، فلا يغطّي السحاب رأسه لشموخه وارتفاعه.
ينظر: شعر طيّء في الجاهلية والإسلام، ص782؛ وفاء السنديوني، وأدب الكاتب، 510، والخصائص، 314/2، ورصف المباني، 453.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمراد بالأمّ هنا (سلمى) أحد جبلي طيّء، قاله ابن السِّيْد[1].

- مجيء (عن) بمعنى: (في) الظرفيّة، ومن ذلك قول الشاعر:[2]

وآسِ سـراة الحيِّ حيث لَقِيتَهُمْ ولا تك عن حمل الرِّباعة وانيا

- مجيء (عن) بمعنى (بعد) للدلالة على البعدية، نحو: قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[3] ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، أي: حالًا بعد حال.

- مجيء (عن) بمعنى: (على) الدالة على الاستعلاء؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾[4] ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾؛ أي: على نفسه[5].

- استعمال (على) بمعنى: (عنده)، ذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾[6].

- مجيء (على) بمعنى: (مع) الدالة على المصاحبة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾[7] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾[8].

- مجيء (على) بمعنى: (إلى) وإنْ لم يذكره العلماء الذين أَلَّفُوا في حروف المعاني[9].

عدا الإربلي، حيث ذكر أنّ (على) قد تأتي لمجرَّد الإسناد فتؤدِّي معنى: (إلى) كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[10]، أي: أسند أموره

.....

(1) ينظر: الاقتضاب: 353/3.

(2) البيت من الطويل، وهو للأعشى في ديوانه، 379؛ والجنى، 247؛ ومغني اللبيب، 155 - 156.

(3) الانشقاق: 19.

(4) محمد: 38.

(5) ينظر: أوضح المسالك، 43/3 - 46.

(6) الشعراء: 14، وينظر: تأويل مشكل القرآن، 578؛ والأزهية، 275. وينظر: دراسات في أسلوب القرآن، 190/2.

(7) البقرة: 177.

(8) الرعد: 6. وينظر: الجنى الداني، 476؛ ومغني اللبيب، 150؛ ودراسات في أسلوب القرآن، 190/2.

(9) ينظر: معاني الحروف للرماني، 107؛ ورصف المباني، 433؛ ومغني اللبيب، 149.

(10) الطلاق: 3.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى الله[1]، وقال الحسن في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[2]، أنّ (على) بمعنى: (إلى)[3].

- اطّرد مجيء (اللام) بمعنى: (إلى)؛ لأنّ (إلى) قريبة في معناها من: (اللام) كما ذكر المالقي[4]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾[5]، أي: إلى هذا، وقوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾[6]، و ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾[8].

- مجيء (اللام) بمعنى: البعدية، نحو: قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[9]، قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾[10]، أي: بعده.

- اللام ومجيئها للمجاوزة كـ(عن) نحو قوله تعالى[11]: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[12] ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي عن ذكر الله.

- مجيء (اللام) بمعنى: (على) الدالة على الاستعلاء، نحو قول الله ـ ﷻ ـ[13]: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾، ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾[14]؛ أي: عليها.

(1) ينظر: جواهر الأدب، 377.
(2) الحجر: 41.
(3) ينظر: تفسير البحر المحيط، 442/5؛ ودراسات في أسلوب القرآن: 191/2.
(4) ينظر: رصف المباني، 297.
(5) الأعراف: 43، وينظر: رصف المباني، 297.
(6) الزلزلة: 5.
(7) الرعد: 2، وينظر: مغني اللبيب، 97.
(8) الأنعام: 28. وينظر: تأويل مشكل القرآن، 572؛ والأزهية، 287؛ والجنى، 990.
(9) الإسراء: 78.
(10) الإسراء: 78.
(11) ينظر: مغني اللبيب، ص422، 424.
(12) الزمر: 22.
(13) الرعد: 2، وينظر: مغني اللبيب، 97.
(14) الإسراء: 109.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- مجيء (مـن) بمعنى (الباء)، وهذا عنـد بعض البصريين، وبعـض الكوفيين؛ نحو: قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[1]، ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ أي بطرف.

- مجـيء (من) بمعنى: (عند) كقوله تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾[2]، قاله أبو عبيدة[3].

- مجيء (من) بمعنى: (على) للدلالة على الاستعلاء، نحو قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[4]، ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾، أي: عليهـم، وخرَّجها المانعون على التضمين؛ أي: منعناه بالنصر من القوم[5].

والأمثلـة في تناوب حـروف الجر وتضمينِهـا معانيَها كثيرة، ومَـن أراد المزيد فيمكنه مراجعة المصادر والمراجع التي وردت في هذا البحث وغيره، وبالله التوفيق.

10 ـ أقـوال المفسرين والنحاة في آيات من كتـاب الله وقع فيها التضمين، والفائدة من ذلك:

معنى التضمين: أنْ تُـؤدِّي كَلِمَةٌ مُؤَدَّى كَلِمَتَين، قال تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[6]، ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ أي ولا تَضُمُّوها إليها آكِلِين، والذي أفَادَ التَّضْمِين: إلى، ومثلُه: ﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾[7]، وأصلُ الرَّفَثِ أن يَتَعَدَّى بالباء.

وظهر التضمين عند أوائل المفسـرين، واتكأوا في كثير من توجيهاتهم على ما ورد عن أوائل المفسرين، حتى اتضح أنَّ هؤلاء الرواد هم صانعو هذا المذهب

(1) الشورى: 45.
(2) آل عمران: 10.
(3) ينظر: مغني اللبيب، ص422، 424.
(4) الأنبياء: 77.
(5) ينظر: معاني القـرآن، 317/1؛ والأزهية، ص282؛ والبرهان في علوم القرآن، 421/4، وشـرح التسهيل، 136/3؛ وشرح التصريح، 10/2؛ وهمع الهوامع، 214/4.
(6) النساء: 2.
(7) البقرة: 187.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومبتكروه، ويُعَدُّ الفراء من أول من ذهب إلى التضمين، وسماه: (معنى الفعل) وبيَّن أنَّ الداعيَ إليه هو المخالفة في التعدية بالحرف، ومن شواهده في ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[1]، «فإنْ شئتَ أنزلتَ (بوأنا) بمنزلة (جعلنا) وكذلك سمعت في التفسير»[2].

واستدل الفراء أيضاً بقوله - ﷻ -: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾[3]، «جاء في التفسير: دنا لكم بعض الذي تستعجلون، فكأن اللام دخلتْ إذ كان المعنى دنا، كما قال الشاعر:

فقلتُ لها الحاجاتُ يَطْرَحْنَ

بالفَتَى وهَمٌّ تَعَنَّاني مُعَنّىً رَكائبُهْ

فأَدخل الباءَ في (الفتى) لأنَّ معنى يَطْرَحْنَ: يَرْمِينَ»[4].

وأمَّا الزمخشري فاستعمل التضمين أثناء حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[5]، وقوله - ﷻ -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[6]، «عُدِّيَ يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمناً مَعْنَى فِعْلٍ يُتَعَدَّى به، كأنه قيل: ولا يَحْمِلَنَّكُمْ»[7].

وظهر التضمين عند أوائل المفسرين، واتكأوا في كثير من توجيهاتهم على ما ورد عن أوائل المفسرين، حتى اتضح أنَّ هؤلاء الرواد هم صانعو هذا المذهب ومبتكروه

(1) الحج: 26.

(2) معاني القرآن للفراء، 223/2.

(3) النمل: 72.

(4) معاني القرآن للفراء، 299/2. وينظر: 25/1، 218.

(5) المائدة: 2.

(6) المائدة: 8.

(7) الكشاف: 612/1. وينظر: 38/1، 65، 228، 230، 351، 465، 515، 134/2، 184، 474، 559، 717، 381/3، 402، 68/4، 92، 124، 374، 608.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذكر الزمخشري أيضاً التضمين حين تحدّث عن قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[1]، قال الزمخشري: «فإنْ قلتَ: هلّا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني؟ قلتُ ضمَّن معنى فِعلٍ يتعدى باللام، ليفيد معنى فِعْلِ الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمَّن، فيكونَ آكدَ وأبلغَ في التخويف»[2].

ووقع التضمين في قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾[3]. فهنا (في) بمعنى على. وكما في قوله سبحانه: قال تعالى: ﴿وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾[4]، أي بارك، جعله ابن الحاجب من باب فلان يعطي ويمنع ويصل ويقطع، أي من تنزيل المتعدي منزلة اللازم كأنه قيل يفعل الإعطاء والمنع والوصل والقطع، وإذا قصد هذا المعنى ثم ذكر خصوص متعلقه أتى به مجروراً بفي، كأنه محل له، فالمعنى في الآية أوقع الصلاح في ذُرّيّتي. قوله (ومنه) أي من التضمين من حيث هو لا بقيد كون المضمن فعلاً متعدياً صار بالتضمين لازماً، ولهذا فصله (بمن) فاندفع ما قاله شيخنا وأقر بعضهم أن البيت ليس مما نحن فيه؛ لأن الفعل فيه متعد إلى واحد وصار بالتضمين متعدياً إلى ثان بحرف الجر[5].

ومن التَّضمين تعدية «رَحُب» لتضمُّنِه مَعنى وَسِعَ، ومن التضمين قولُه تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥ﴾[6]؛ لِتَضَمُّنِهَا معنى أَهْلَكَ وامْتَهَنَ ويَخْتصُّ التَّضْمِينُ عن غَيرِه من المُتَعَدِّيَات بأَنَّه قد يَنْقُل الفِعلَ إلى أكثر من دَرَجَةٍ، ولذلك عُدِّي «أَلَوتُ» بمعنى قَصَّرت إلى مفعولين بعد أن كان قاصراً، وذلك في قولهم «لا آلُوكَ نُصحاً» ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾[7].

ومما يحتمل أن يكون منصوباً على نزع الخافض أو أنه مفعول لفعلٍ مضمن

---

(1) يوسف: 5.

(2) الكشاف، 444/2. وينظر: 717/2.

(3) طه: 71.

(4) الأحقاف: 15.

(5) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، 760/1.

(6) البقرة: 130.

(7) آل عمران: 118. وينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 260/1؛ ومعجم القواعد العربية، ص450.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

معنى فعلٍ متعدٍ قولُهُ تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[1]، فقيل في (صراطك): منصوب على نزع الخافض، أي: على صراطك، وقيل: ضمن (لأقعدن) معنى لأَلْزَمَنَّ، وقيل: ظرف[2]، ومن التضمين تضمين ما يتعدى إلى مفعول بنفسه معنى ما يتعدى - بحرف جر، كقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[3]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾[4]، قيل: ضُمِّنَ أذاعوا معنى تحدثوا.

- ومما يدلُّ على أنَّ صورة تضمين ما يتعدى بحرف جر معنى ما يتعدى بحرف جر آخر هي الأكثر وروداً من غيرها اقتصار جماعة من النحويين عليها عند حديثهم في التضمين. يقول ابن جني: «اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرفٍ والآخر بآخر، فإن العرب قد تتسع، فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه، إيذاناً بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه»[5].

فائدة التضمين:

من فوائد التضمين:

أ - الإيجاز والاختصار، وهو أصل من أصول البلاغة العربية.

ب - تأدية كلمة واحدة معنى كلمتين، «فالغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذّ، ألَا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم[6]، ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾[7]، أي: ولا تضموها إليها آكلين»[8]. ويزيد ابن هشام الأمر وضوحاً فيبين

(1) الأعراف: 16.

(2) ينظر: معاني القرآن للفراء، 375/1؛ ومعاني القرآن للأخفش، 321/1؛ ومعاني القرآن وإعرابه، 324/2؛ والبحر المحيط، 275/4.

(3) الإنسان: 6.

(4) النساء: 83.

(5) الخصائص، 308/2.

(6) وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ سورة الكهف: جزء من الآية: 28.

(7) النساء: 2.

(8) الكشاف، 388/2.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنَّ فائدة التضمين أنْ يدل بكلمة واحدة على معنى كلمتين، يدلُّك على ذلك أسماء الشرط والاستفهام[1].

ج - «للتضمين غرض بلاغي لطيف، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر، يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنيين: معنى الفعل الأول ومعنى الفعل الثاني، وذلك نحو قوله تعالى[2]: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾...»[3].

د - ويختص التضمين عن بقية المُعَدَّيَات بأنه قد ينقل الفعل إلى أكثر من درجة ولذلك عُدِّيَ أَلَوْتُ بقصر الهمزة بمعنى قصرت إلى مفعولين بعدما كان قاصراً وذلك في نحو قولهم: لا آلوك نصحاً لما تضمن معنى لا أمنعك، وعدي أخبر وخبر وحدّث وأنبأ ونبأ إلى ثلاثة لما تضمنت معنى أعلم وأرى بعدما كانت متعدية إلى واحد بنفسها وإلى آخر بالجار، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[4]، وقوله تعالى[5]: ﴿ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[6].

وفائدة التضمين: هي أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين، فالكلمتان معقودتان معاً قصداً وتبعاً، فتارة يجعل المذكور أصلاً والمحذوف حالاً، كما قيل في قوله تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[7]، ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾، كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم، وتارة بالعكس كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[8]، أي يعترفون به مؤمنين، ومن تضمين لفظ معنى لفظ آخر قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾[9]، أي لا تفتهم عيناك مجاوزين إلى غيرهم، ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾[10]، أي ولا تضموها

(1) مغني اللبيب، ص488، 642.
(2) الأنبياء: 77.
(3) الأنبياء: 77.
(4) البقرة: 33.
(5) ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، 763/1.
(6) الأنعام: 143.
(7) البقرة: 185.
(8) البقرة: 4.
(9) الكهف: 28.
(10) النساء: 2.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آكلين و﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، أي من ينضاف في نصرتي إلى الله، و﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾[1]، أي أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى. ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[2]، أي فلن يحرموه فعدي إلى اثنين. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾[3]، أي لا تنووه فعدي بنفسه لا بعلى. ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[4]، أي لا يصغون فعدي بإلى وأصله أن يتعدى بنفسه ونحو: (سمع الله لمن حمده) أي استجاب فعدي باللام. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾[5]، أي يميز. ومن هذا الفن في اللغة شيء كثير لا يكاد يحاط به، ومن تضمين لفظ لفظاً آخر قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[6]، إذ الأصل (أمن) حذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما في (هل)، فإن الأصل (أَهَل) فإذا أدخلت حرف الجر فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول: ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، كقولك: (أعلى زيد مررت) وهذا تضمين لفظ لفظاً آخر، والتضمين يطلق أيضاً على إدراج كلام غيره في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى[7].

«للتضمين غرض بلاغي لطيف، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر، يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنيين: معنى الفعل الأول ومعنى الفعل الثاني

وكقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[8]، إذ حقيقة ذلك الجلوس فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى وهو (جلست) إلى مرادفه لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل، وهذا لا يحصل من لفظ (جلست)[9].

(1) النازعات: 18.
(2) آل عمران: 115.
(3) البقرة: 235.
(4) الصافات: 8.
(5) البقرة: 220.
(6) الشعراء: 221.
(7) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، 406/1.
(8) هود: 44.
(9) ينظر: الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، 1215/1، 1682/1..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

آكلين و﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، أي من ينضاف في نصرتي إلى الله، و﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾[1]، أي أدعوك وأرشدك إلى أن تزكى. ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾[2]، أي فلن يحرموه فعدي إلى اثنين. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾[3]، أي لا تنووه فعدي بنفسه لا بعلى. ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[4]، أي لا يصغون فعدي بإلى وأصله أن يتعدى بنفسه ونحو: (سمع الله لمن حمده) أي استجاب فعدي باللام. ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾[5]، أي يميز. ومن هذا الفن في اللغة شيء كثير لا يكاد يحاط به، ومن تضمين لفظ لفظاً آخر قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾[6]، إذ الأصل (أمن) حذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما في (هل)، فإن الأصل (أَهَل) فإذا أدخلت حرف الجر فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كأنك تقول: ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾، كقولك: (أعلى زيد مررت) وهذا تضمين لفظ لفظاً آخر، والتضمين يطلق أيضاً على إدراج كلام غيره في أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى[7].

«للتضمين غرض بلاغي لطيف، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب، وذلك بذكر فعل وذكر حرف جر، يستعمل مع فعل آخر، فنكسب بذلك معنيين: معنى الفعل الأول ومعنى الفعل الثاني

وكقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[8]، إذ حقيقة ذلك الجلوس فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى وهو (جلست) إلى مرادفه لما في الاستواء من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل، وهذا لا يحصل من لفظ (جلست)[9].

(1) النازعات: 18.
(2) آل عمران: 115.
(3) البقرة: 235.
(4) الصافات: 8.
(5) البقرة: 220.
(6) الشعراء: 221.
(7) ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، 406/1.
(8) هود: 44.
(9) ينظر: الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، 1215/1، 1682/1..

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وضُمِّنَ (أمات) في قوله تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾[1]، معنى مَكَث، وهو غير معهود في الحروف، وإنْ ضُمِّنَ الفعل معنى الإفْضَاء عُدِّيَ بـ«إلى» مثل: قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾[2].

وإذا مر بك شيء من التضمين فتقبله وأُنس به فإنه فصل من العربية لطيف، وفي التضمين شواهد تردُّ على مَن أنكر أنْ يكون في اللغة العربية لفظان بمعنى واحد كثعلب وابن فارس، وتكلفا في ذلك، وأَوجَدَا فرقاً بين قعد وجلس، فذكر مَن أنكر ذلك أنَّ القعود يكون من قيام، والجلوسَ يكون عن حالة دونه، والسبب أنَّ الجلوس مأخوذ من الجَلس وهو المكان المرتفع، تقول: كان مضطجعاً ثم جلس، وأيضاً وقع التفريق بين الذراع والساعد، فالذراع: الأسفل من الزندين، والساعد: الأعلى منهما[3].

ومن التضمين إلحاق ضَرَبَ مثلاً بِصَيَّرَ، وألحق هشام الكوفي بأفعال هذا الباب عرف وأبصر، وألحق بها ابن درستويه أصاب وصادف وغادر، وألحق بها بعضهم خَلَقَ بمعنى جعل[4].

وألحق قوم بِصَيَّرَ ضرب مع المثل نحو: قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[5]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾[6]، ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾[7]. فقالوا هي في الآيات ونحوها متعدية إلى اثنين، قال ابن مالك والصواب ألا تلحق به لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟﴾[8]، فَبُنِيَتْ للمفعول واكتفت بالمرفوع ولا يفعل ذلك بشيء من أفعال هذا الباب[9]، وذكر أبو حيان وهو استدلال ظاهر إلا أنه يمكن تأويله على حذف المفعول لدلالة الكلام

.....

(1) النساء: 259.

(2) النساء: 21.

(3) ينظر: الخصائص، 310/2؛ والمزهر 404/1.

(4) ينظر: شرح التسهيل، 85/2.

(5) النحل: 75.

(6) البقرة: 26.

(7) يس: 13.

(8) الحج: 73.

(9) ينظر: شرح التسهيل (بتصرف يسير)، 85/2.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه أي ما يذكر[1]. وذهب ابن أبي الربيع إلى أن ضَرَبَ بمعنى صَيَّرَ متعدٍّ لاثنين مطلقاً مع المَثَل وغيرِه، نحو ضُربت الفضةُ خلخالاً، وألحق ابن هشام بأفعال هذا الباب عَرَفَ وأبصر، وألحق بها ابن درستويه أصاب وصادف وغادر، وألحق بها بعضهم خلق بمعنى جعل كقوله سبحانه: قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[2]. والجمهور أنكروا ذلك وجعلوا المنصوب الثاني في الجميع حالاً، وزعم جماعة من المتأخرين أنه قد يجوز تضمين الفعل المتعدي إلى واحد معنى صير ويجعل من هذا الباب فأجاز حفرت وسط الدار بئراً ولا يكون بئراً تمييزاً؛ لأنه لا يحسن فيه مِن، وكذا بنيت الدار مسجداً، وقطعت الثوب قميصاً والجلد نعلاً، وصنعت الثوب عمامة؛ لأن المعنى فيها صَيَّرْتُ، وعند أبي حيان أن هذا كله من باب التضمين الذي يحفظ ولا يقاس عليه[3].

«وبمعنى الباء نحو: قال تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾[4]، أي بأنْ كما قرأ أُبي، (و) بمعنى (اللام) أي التعليل، نحو قال تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[5]، أي ولأجل هدايته هداية إياكم، والبصريون قالوا: لو كان لها هذه المعاني لوقعت موقع هذه الحروف فكنت تقول: وليت عليه أي عنه، وكتبت على القلم أي به، وجاء زيد على عمرو أي معه، والدرهم على الصندوق أي فيه، وأخذتُ على الكيس أي: منه، وأوَّلُوا ما تقدَّم على التضمين ونحوه، فَضُمِّنَ (تتلو) معنى: (تقول)، و(رضي) معنى (عطف)، و(اكتالوا) معنى: (حكموا) في الكيل، و(حافظون) معنى: قاصرون، و(حقيق) معنى: حريص، و(لِتُكَبِّرُوا) معنى: تَحْمَدُوا»[6].

وممن قال بالتضمين ابن خروف. وذهب الفارسي والسيرافي إلى أن الجزم بهذه الأشياء لا على جهة التضمين، بل على جهة أنها نابت مناب الشرط، بمعنى أنه حُذفت جملة الشرط، وأُنيبت هذه منابها في العمل، ونظيرُه قولهم:

(1) ينظر: تفسير البحر المحيط، 266/1 - 267.

(2) النساء: 28.

(3) همع الهوامع، 373/1.

(4) الأعراف: 105.

(5) البقرة: 185.

(6) همع الهوامع 187/4. وينظر: البرهان في علوم القرآن، 284/4 - 285.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ضرباً زيداً، فإنَّ (ضرباً) ناب عن اضْرِبْ، فنصب زيـداً، لا أنه ضُمِّنَ المصدرُ معنى فِعْلِ الأمـر، بل ذلك على طريق النيابة، وكذا زيـدٌ في الدار أبوه، ارتفع (أبوه) بالجار والمجرور؛ لأنه ناب مناب كائن، لا أنه ضُمِّنَ معناه، فيكون جَزْمُهُ إذ ذاك لنيابته مناب الجازم؛ لا لتضمّن الجازم، لأن الجازم بطريق التضمين جازمٌ بحق الأصل، وكذا تقول: الجازم في مَن يأتني أُكْرِمْهُ، إنه هو لفظ اسـم الشـرط، وهذا ما صححه ابن عصفور، وذهب أكثر المتأخرين إلى أنه مجزومٌ بشـرطٍ مقدرٍ بعد هذه الأشـياء؛ لدلالة ما قبلُ وما بَعْدُ عليه، والتقدير: مثلاً: ائتني إنْ تأتني أُكْرِمْكَ، وهو اختيار أبي حيان وذكر أنه لا حاجة إلى التضمين، ولا إلى النيابة، وحكى بعضهم مذهباً رابعاً وهـو أنه مجزوم بلام مقدرة، فإذا قـال: ألا تَنْزِلْ تُصِبْ خيراً فمعنـاه: لِتُصِبْ خيراً. وبيَّـن أبو حيان أن هذا ليس بشـيء؛ لأنه لا يَطَّرِدُ في مواضع الجزم إلا بتَجَوُّزٍ كثير. وزعم الفراء والمازني والزجاج أنَّ (يُقِيمُوا) في قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1]، وشِبْهُهُ مبنيٌّ لوقوعه موقعَ (أَقِيمُوا) وهو معمولُ القول[2].

ومن التضمين مجـيء (في) بمعنى (مع) وذلك في قولـه تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾[3]، فقولـه سـبحانه: (في تسـع آيات)، أي: مع، وكذلك مجيء (فـي) بمعنى: (عنـد) نحو قوله سبحانه: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾[4]، فلفظة (فِينَا) جاءت (في) بمعنى: (عند)، وتأتي (في) بمعنى (على) كقولـه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ﴾[5]، بدليـل قولـه تعالـى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[6]، وقولـه عز مـن قائـل: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[7]، طـه: جزء من الآيـة: ٧١، وتكون (فـي) بمعنى (إلى)، قـال تعالـى: ﴿فَٱهْجُرُواْ فِيهَا﴾[8]، وقال تعالى:

(1) إبراهيم: 31.
(2) ينظر: همع الهوامع، بتصرف يسير، 134/4 - 135.
(3) النمل: 12.
(4) الشعراء: 18.
(5) يونس: 22.
(6) المؤمنون: 28.
(7) الفرقان: 40.
(8) النساء: 97.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾[1]، وتأتي (في) بمعنى (من)، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾[2]، وتكون (في) بمعنى (بَعْدَ)[3] قال تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾[4].

والتضمين كثير في القرآن كمثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ﴾[5]، فجاء فعل أتوا مضمناً معنى مروا فعدي بحرف على؛ لأن الإتيان تعدى إلى اسم القرية، والمقصود منه الاعتبار بمآل أهلها، فإنه يقال أتى أرض بني فلان ومر على حي كذا، وهذه الوجوه كلها لا تخالف أساليب الكلام البليغ بل هي معدودة من دقائقه ونفائسه، التي تَقِلُّ نظائرها في كلام بلغائهم لعجز فطنة الأذهان البشرية عن الوفاء بجميعها[6].

- قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾[7].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾[8]: أي يكذبون ويجحدون، وأطلق الظلم وأريد به التكذيب والجحود لأمرين هما:

أولاً: اكتفاءً بحرف الجر الباء؛ إذ لا تدخل على ظلم ولكن على كذب أو جحد، يقال كذب به وجحد به، ولا يقال ظلم به ولكن ظلمه وهذا من باب التضمين، وهو سائغ في لغة العرب التي نزل بها القرآن.

- قال تعالى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[9].

ضَمَّنَ (يُسارِعون) معنى: (يَقَعُونَ)، فعدّي بفي، وهي طريقة (الكشاف) وشروحه، ويرى ابن عاشور أنّ هذا استعارة[10].

.....

(1) إبراهيم: 9.

(2) النحل: 89.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن، 302/4 - 303.

(4) لقمان: 14.

(5) الفرقان: 40.

(6) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 126/1.

(7) سورة: 29 - 31.

(8) الأعراف: 9.

(9) آل عمران: 176.

(10) ينظر: تفسير التحرير والتنوير، 172/4.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وضُمِّنَ (أُهِلَّ) معنى تَقَرَّبَ فعُدِّيَ لمتعلقه بالباء وباللام مثل تقرب، فالضمير المجرور بالباء عائد إلى (ما أُهِلَّ)، وفائدة هذا التضمين تحريم ما تقرب به لغير الله تعالى، سواء نودي عليه باسم المتقرب إليه أم لا، والمراد بغير الله الأصنام ونحوها[1].

- وقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ (ومَنْ يَّعْشُ)[2]، عُدِّيَ (يَعْشُ) بـ(عن) المفيدة للمجاوزة؛ لأنه ضمن معنى الإعراض عن ذكر الرحمٰن، وإلا فإن حقّ عشا أن يعدّى بـ(إلى) كما قال الحُطَيئَة:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خيرُ موقد

ولا يقال: عشوت عن النّار إلا بمثل التضمين الذي في هذه الآية، فتفسير من فسّر (يَعْشُ) عن ذكر الرحمٰن بمعنى يُعرض: أراد تحصيل المعنى باعتبار التعدية بـ(عن)، وإنكارُ مَن أنكر وجود (عشا)، بمعنى أعرض، أراد إنكار أن يكون معنًى أصلياً لفعل (عشَا) وظن أن تفسيره بالإعراض تفسير لمعنى الفعل وليس تفسيراً للتعدية بـ(عن) فالخلاف بين الفريقين لفظي.

- ومن التضمين قوله تعالى: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3]، فـ(مَتِّعوهن)، يكونَ من باب التضمين، ضَمَّنَ (مَتِّعوهنَّ) معنى: (أدُّوا)[4].

- ومن التضمين ما جاء في لفظ (أَمِنَ) الذي ضُمِّنَ معنى أَقَرَّ واعترَفَ، فَعُدِّي باللام، أي: ولا تُقِرُّوا ولا تَعْتَرِفوا إلا لِمَنْ تَبِعَ دينكم، ونحوُه: قال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ ﴾[5] قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾[6]، وقال أبو علي: «وقد تعدّى «آمَن» باللام في قولِهِ: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ ﴾، ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ ﴾[7]، ﴿ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ

(1) التحرير والتنوير، 117/3.
(2) الزخرف: 36.
(3) البقرة: 236.
(4) الدر المصون، 583/1.
(5) يونس: 83.
(6) يوسف: 17.
(7) طه: 71.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فذَكَرَ أنه يتعدَّى بها من غيرِ تضمين، والصوابُ أنه من التضمينِ، وكقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾[2] مفعولٌ به على التضمينِ أي: أَلْزَمْناه حُسْناً»[3].

«والتضمين يقوم عند المفسرين على إشراب فِعل أو ما في حكمه معنى فِعل آخر، كي تصح التعدية بالحرف الذي سمعوه وألفوه، ومبني على المقاربة بين معنيي الفعلين المتبادر والمؤول، ويراد به كلاهما في التعبير، ليحقق بعض الأغراض البلاغية، وهو من هذا الجانب أثرٌ بارز من آثار معاني حروف الجر، يهدف إلى تحقيق معنى الحرف والحفاظ على معناه الأساسي الموضوع له»[4].

والتضمين يقوم عند المفسرين على إشراب فِعل أو ما في حكمه معنى فِعل آخر، كي تصح التعدية بالحرف الذي سمعوه وألفوه، ومبني على المقاربة بين معنيي الفعلين المتبادر والمؤول، ويراد به كلاهما في التعبير، ليحقق بعض الأغراض البلاغية

نتائج البحث

بَيَّنَ هذا البحث معنى التضمين عند أهل اللغة وفي الاصطلاح، فذكر أنَّ التضمين يكون بمعنى إشراب لفظة معنى لفظة أخرى، فتؤدي وظيفتها في التركيب.

وأوضح هذا البحث أنَّ هناك فرقاً بين التضمين ونزع الخافض، فالتضمين أبلغ لأنَّ الفعل المتضمن معنى فعل آخر يقوم بتأدية معنيين في وقت واحد، وأما نزع الخافض فهو حذف وإيصال فقط، وليس فيه معنى زائد عن المعنى الأصلي.

وظهر في هذا البحث اختلاف النحاة في ظاهرة التضمين، هل هي من باب الحقيقة أو من باب المجاز، وهل هو قياسي أو سماعي؟!

ومر في هذا البحث أنَّ التضمين يكون في ثلاثة أبواب نحوية هي: الأسماء المبنية، وباب التعدي واللزوم، وباب حروف المعاني.

(1) التوبة: 61.
(2) العنكبوت: 8.
(3) الدر المصون، 3/477 - 478، 5/361.
(4) الأدوات النحوية في كتب التفسير، ص717.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما الفائدة من التضمين فهو غرض بلاغي، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب، فالتضمين أقوى بلاغياً، وهذا يدل على سعة لغتنا العربية ودقتها، وكمالها، وعظمة أسرارها.

ينتشر التضمين في كثير من كتب النحو واللغة والتفسير، كشرح التسهيل لابن مالك، والمغني لابن هشام، والبرهان في علوم القرآن للزركشي، ويكثر ذِكرها في كتب النحو في باب حروف الجر، وقد استَعملتُ بعضها ككتاب همع الهوامع للسيوطي، وحاشية الصبان على شرح الأشموني، وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري، وغيرها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثبت بالمصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفس عن عاصم

- اختيارات أبي حيان النحوية في البحر المحيط جمعاً ودراسة، لبدر بن ناصر البدر، مكتبة الرشد، الرياض، د ط، 1420هـ/2000م.
- الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمود أحمد الصغير، دار الفكر، دمشق، سوريا، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط1، رجب 1422هـ/سبتمبر 2001م.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1408هـ/1988م.
- بدائع الفوائد، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله المعروف بابن القيم، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ مكة المكرمة، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا ـ عادل عبد الحميد العدوي ـ أشرف أحمد، ط1، 1416هـ/1996م.
- تفسير البحر المحيط، لأبي محمد بن يوسف الأندلسي (ت745هـ)، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ومشاركة: زكريا عبد المجيد النوتي، وأحمد النجولي الجمل، منشورات: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.
- تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997م.
- جامع البيان في تفسير آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، ط4، 1400هـ/1980م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان، دار الطباعة المصرية، القاهرة، 1280هـ.
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لشهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، وجاد مخلوف جاد، وزكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1414هـ/1994م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- شذا العرف في فن الصرف، للشيخ أحمد الحملاوي، شرحه وصححه وأعد فهارسه حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، د ط، د ت.
- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، للشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت905هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.
- كتاب معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (215هـ)، تحقيق: هدى محمد قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1431هـ/2010م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1948م.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق د. عدنان درويش، ومحمد المصري، وزارة الثقافة بدمشق، ط2.
- لسان العرب، لابن منظور: محمد بن مكرم الأنصاري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر بالقاهرة، طبعة مصورة عن طبعة بولاق.
- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الناشر: موقع الجامعة على الإنترنت http://www.iu.edu.sa/Magazine، عدد الأجزاء: 120 عدداً، مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com، إعداد: خالد لكحل، عضو في ملتقى أهل الحديث.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمٰن جلال الدين السيوطي، دار التراث، القاهرة، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، ط3، د ت.
- معاني القرآن، لأبي زكرياء يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، ديسمبر سنة 1955 (من مقدمة محمد أبو الفضل إبراهيم).
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السَّرِي، شرح وتحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، ط1، 1408هـ/1988م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- معاني النحو، لفاضل صالح السامرائي، دار الفكر، ط3، 1429هـ/2008م.
- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف وذُيِّلَ بالإملاء، لعبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، ط3، 1422هـ/2001م.
- المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية، لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، دار الدعوة.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري: أبو محمد عبد الله جمال الدين، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، وراجعه سعيد الأفغاني، بيروت، دار الفكر، ط3، 1972م
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، تحقيق وشرح: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، طبعة 1399هـ/1979م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner